**ترك البحث في كيفية الذات الإلهية**

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد / ميريهان مجدي محمود عبد المجيد*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*mirihan@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : ترك البحث في كيفية الذات الإلهية**

**الكلمات الافتتاحيه : الاساس ، صفاته ، كيفيه**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة ترك البحث في كيفية الذات الإلهية**

* ***. . موضوع المقالة***

الأساس الثالث: ترك البحث في كيفية الذات الإلهية:

إن الله تعالى: {ﭡ ﭢ ﭣ} فصفاته كذلك، فإن معرفة كيفية الصفات متوقف على معرفة كيفية الذات، فإذا كانت الذات الإلهية لا نعلم حقيقتها وكُنهها، فكذلك الصفات. وأشار الله إلى هذا بقوله: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [طه: 110] وقوله -تبارك وتعالى-: {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} [البقرة: 255].

ومنع الرسول  من التفكر في ذات الله تعالى وصفاته، فقال: ((تفكَّروا في خلق الله، ولا تفكَّروا في الله)) رواه الطبراني في (الأوسط) والبيهقي في (الشعب) وغيرهما.

ومنع السلف من السؤال عن الكيفية، كما مَـَّر معنا قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة".

وقال أبو جعفر الطحاوي: لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام.

وهذا لا يعني نفي الصفة أو حقيقتها عن الله تعالى، بل الصفة ثابتة له تعالى، ولكن حقيقتها غير معلومة لنا، فتنبه!

وتوضيح هذا الأساس يتم بما يلي:

أولًا: أن الله لم يطلع الخلق على ذاته ولم يكلفهم معرفة ذلك... لم يشأ الله  أن يجعل للعباد من سبيل إلى معرفة كيفية وكنه صفاته، فقد سد سبحانه الطرق الموصلة إلى ذلك:

- فهو من جهة لم يطلع الخلق على ذاته، فهذا باب موصود إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث: ((تعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)).

- ومن جهة ثانية لم يخبرنا الله  بكيفية وكنه صفاته في كتابه، أو على لسان رسوله  فما ورد به النصوص إنما هو إثبات وجود لتلك الصفات لا إثبات كيفية.

- ومن جهة ثالثة؛ فإن الله لم يكلف العباد معرفة كيفية صفاته، ولم يتعبدهم بذلك ولا أراده منهم، بل قصرهم على الإيمان بما أخبرهم به، فالواجب عليهم أن يؤمنوا الإيمان الصحيح بما كلفوا به، وأن لا يتجاوزوا حدود ذلك.

وقد ورد النص في وجوب قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية صفات الله، فإدراك ذلك مستحيل، قال تعالى: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} [طه: 110].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-: إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا ما نص عليه في هذه الآية من سورة طه، فقوله: {ﯦ ﯧ ﯨ} فعل مضارع منفي، والفعل الصناعي الذي يسمى بالفعل المضارع، وفعل الأمر، والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، فالمصدر كامن في مفهومه إجماعًا، فـ{ﯧ} في مفهومها الإحاطة؛ فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل؛ فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح، فيصير المعنى: لا إحاطة للعلم البشري برب السموات والأرض، فينفى جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة منفية للخلق عن رب العالمين.

ثانيًا: قصور العقل عن معرفة كيفية صفات الله:

إن على العقل أن ييأس من تعرف كنه الصفات وكيفياتها لعجزه عن معرفة ذلك؛ لأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق، وكل هذه الطرق منفية في كيفية صفات الله، فوجب بطلان تكييفها. وعلم الإنسان محدود كما أخبر الله بذلك، حيث قال: {ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ} [الإسراء: 85]، وقال تعالى: {ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ}.

وإذا كانت نفس الإنسان التي هي أقرب الأشياء إليه -بل هي هويته- لا يعرف الإنسان كيفيتها ولا يحيط علمًا بحقيقتها، فالخالق -جل جلاله- أولى أن لا يعلم العبد كيفيته ولا يحيط علمًا بحقيقته.

وقد أدب الله عباده المؤمنين ووجههم بأن لا يخوضوا في أمور لا علم لهم بها، فقال: {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ} [الإسراء: 36] وقال تعالى: {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} [الأعراف: 33].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفاته  لأنه تعالى أخبرنا عنها، ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تعمقنا في أمر الكيفية قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولًا بما لا يمكننا الإحاطة به، ومخالفةً لما نهانا الله وحذرنا منه، وحرَّمه علينا.

فيجب الكفُّ عن التكييف تقديرًا بالجنان، أو تقريرًا باللسان، أو تحريرًا بالبنان، لأن أية كيفية تقدرها الأذهان فالله أعظم وأجل من ذلك، ثم هي في الوقت ذاته ستكون كذبًا؛ لأنه لا علمَ لقائلها بذلك؛ ولهذا نقل أصحاب المقالات عن بعض المشبهة -الذين خاضوا في كيفية صفات الله- أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل، وصدق الله إذ قال في كتابه العزيز: {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ} [النساء: 82].

فعلى المسلم أن يحذر من التكييف أو محاولته، فإن من فعل ذلك فقد وقع في مفاوز لا يستطيع الخلاص منها، فالخوض في ذلك هو مما يلقيه الشيطان في القلوب، وهو نزغة من نزغاته، فلذلك يجب على المؤمن أن يلجأ إلى ربه ويستعيذ به من نزغات الشيطان، قال تعالى: {ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ} [الأعراف: 200].

ثالثًا: معنى قول السلف: "بلا كيف":

إن معنى قول السلف "بلا كيف" أي: بلا كيف يعقله البشر، فليس المراد من قولهم: "بلا كيف" هو نفي الكيف مطلقًا، فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما، ولكن المراد هو نفي العلم بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته إلا هو سبحانه، فهذا مما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفاته سبحانه لا نعلم كيفيتها؛ ولهذا لما سئل الإمام مالك -رحمه الله- فقيل له: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [طه: 5] كيف استوى؟ قال -رحمه الله-: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه.

وقد روى عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن قوله: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول" أي: لا تعقله العقول ولا تحيط به، وهذا يقال في سائر الصفات. وقد مشى أهل العلم على هذا الميزان واعتبروا ذلك قاعدة من قواعد الصفات، فقول الإمام مالك "الاستواء معلوم": أي معلوم المعنى في لغة العرب، فـ{ﮌ} هنا عديت بـ{ﮊ} فهي هنا بمعنى علا وارتفع، وهكذا الأمر في سائر نصوص الصفات، فإن معانيها معروفة في لغة العرب، وليست مجهولة.

"والكيف مجهول": أي: مع إثباتهم لمعنى الاستواء واعتقادهم بأن الله مستوٍ على عرشه ومرتفع عليه، إلا أنهم يكلون علم كيفية ذلك الاستواء إلى الله  لأنه مما استأثر الله بعلمه.

"والإيمان به واجب": أي: الإيمان باستواء الله على عرشه حقيقة واجب لوروده في النصوص الشرعية.

"والسؤال عنه بدعة": أي: السؤال عن كيفية الاستواء، لأن السائل قال: كيف استوى؟

رابعًا: عدم معرفة الكيفية لا يقدح في الإيمان بالصفات ومعرفة معانيها:

إن عدم العلم بكيفية صفات الله لا يقدح في الإيمان بتلك الصفات ومعرفة معانيها؛ لأن الكيفية وراء ذلك، فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ويفهمون معاني تلك الصفات، ويفسرونها، فإذا أثبتوا لله السمع والبصر أثبتوهما حقيقية وفهموا معانيهما، وهكذا سائر الصفات يجب أن تجري هذا المجرى، وإن كان لا سبيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهم إليه سبيلًا.

وكثير من المخلوقات لم يجعل الله للعباد سبيلًا إلى معرفة كنهها وكيفيتها، فهذه أرواح الخلائق التي هي أدنى إليهم من كل دانٍ قد حجب عنهم معرفة كنهها وكيفيتها، وقد أخبرنا الله عن تفاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه، فلا يشك المسلمون أن في الجنة أنهارًا من خمر وأنهارًا من عسل، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته -كما قال ابن عباس: "ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء".

فكذا الأسماء والصفات لا يمنع انتفاء نظيرها في الدنيا من فهم معانيها وحقائقها والإيمان بذلك واعتقاد اتصاف الله بها.

فإيماننا صحيح بحق ما كلفنا به، وإن لم نعرف حقيقة ماهيته وكيفيته، والله أعلم.

وهذه الأسس الثلاثة يجب الأخذ بها جميعًا، ولا يجوز الإخلال بشيء منها، فهذا ما كان عليه معتقد السلف من هذه الأمة ومَن سار على نهجهم. وهم بهذا توسطوا في هذا الباب بين طائفتين ضلتا في هذا الباب هما:

1. المعطلة.
2. والمشبهة.

فمعتقد السلف هو الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، فهم لا ينفون عن الله  ما سمى أو وصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله  فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العلى ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسمائه وآياته كما فعل المعطلة؛ كما أنهم لا يشبهون صفات الله بصفات خلقه كما فعل المشبهة.

**المراجع والمصادر**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**